عربيّات

مقالات ثقافية واجتماعية منشورة

د. محمد محمود أسعد

مؤسسة الأمة العربية
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب: عربيَّات (مقالات ثقافية واجتماعية منشورة)

اسم المؤلف: د. محمد محمود أسعد

رقم الإيداع القانوني:

الترقيم الدولي:

الناشر: دار الأمة للنشر والتوزيع

سنة النشر: ١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م

رقم الطبعة: الطبعة الأُولى

الناشر

دار الأمة للنشر والتوزيع

جمهورية مصر العربية

هواتف: ٣٥٧١٢٢٣ - ٠٤٨ - ٠٠٢

المبيعات: تحويل داخلي ١٣

الفاكس: تحويل داخلي

إدارة النشر: ٠٠٢٠١١٤٢٠٢٢١٧٤

الطبعة الأُولى

١٤٤٢هـ-٢٠٢١م

كافة الحقوق محفوظة

رقم المطبوع: ١/١٠٠١٢٢/٢٣٨٧١ تاريخ: ١٣ يوليو ٢٠٠٩

المجلس الوطني للإعلام- إدارة متابعة المحتوى الرقمي

دولة الإمارات العربية المتحدة

إهداء

إلى كل من شجعني على تنشيط يراعي

وألهمني في كتابة ونشر هذه المقالات

في عدد من الصحف اليومية والمجلات الشهرية

الصادرة في دولة الإمارات العربية المتحدة،

وإلى كل من ساندني في إعدادها ونشرها

على شكل هذا الكتاب.

أهدي لهم هذا العمل مع بالغ ودي وتقديري.

أخوكم محمد

إضاءة

تَمَكّن فَنُ المقال من الانضمامِ إلى الأدب العربي بفضل التفاعل مع الثقافة الغربيّة والانفتاح عليها، حيث استطاعت المقالة العربية بصغر حجمها، ووحدة موضوعها، وسلاسة أسلوبها وشكلها النثري التعبيري التطرق لمواضيع متنوعة في المجالات الأدبية، والفكرية، والاجتماعية، والسياسية، والنقدية.

(عربيات) باقة من مقالات ثقافية واجتماعية منشورة مسبقاً في صحف يومية ومجلات شهرية في دولة الإمارات العربية المتحدة عكست في مجملها وجهات نظر شخصية زمن كتابتها ونشرها، خفق لها الفؤاد مرة بخوف، ومرات أخرى بفرح تشجيعاً وتثميناً لمن أنجز وأفاد مجتمعه ووطنه.

مقالات (عربيات) مرايا حقيقة عكست أيامي الحافلة بالمعرفة ومداد القلم في دولة الإمارات العربية المتحدة.. أيام جميلة لا زال ذكراها يصدح عندي بحنين وإشراق، أيام غير مشوبة بخيال، مشاعرها داعبت قلمي فأحس بها ففاض مداده بلا مبالغة أو تهويل من خلال أسلوب بسيط بعيد عن أي ديباجة تمجيد، أو مكياج لغوي، لتكون حديث قلب منثور على ورق وهمسات ودودة ووسيلة إفصاح لمشاعر وأحاسيس عن مجتمعنا العربي ووطننا الكبير، نُظمت دون قصد أو انتظار لرضا هذا أو سخط ذاك، كُتبت عن الكل وللكل وبلغة الكل دون أي إشارة باتهام لأحد بعينه فكل منا بالنهاية مسؤول أمام أي تقصير.

قبل البدء لابد من التنويه إلى:

أولاً: كما نصحني بعض الأصدقاء الأفاضل -لأهمية الكثير من المقالات المنشورة وجدية مواضيعها، وفداحة خطب مدلولها - بإعادة نشر بعضها، وفعلاً حصل ذلك بعد أن أجريت عليها بعضاً من التعديل أو الإضافة لتنجلي الصورة أكثر ويستبين القصد. فأرجو العفو عن تكرار بعضاً منها طالما أنها تحمل إضافة في إعادة النشر.

ثانياً: رغم أنه قد مر على نشر معظم هذه المقالات ما يزيد عن عقدين من الزمن، جاءتني النصيحة في أن أجمعها بعضاً مع بعض في مكان ما يُسهل الوصول إليها لمن يود الاطلاع، ولعل ذلك يكون أما عن طريق نشرها بمواقع مختصة بالإنترنت، أو عن طريق جمعها بين دفتي كتاب منشور لِمَ تحتويه هذه المقالات من معلومات توثيقية ترصد الفترة

الزمنية التي كُتبت وُنشرت فيها بإمعان عين المراقب وإحساس الكاتب الغيور والمسرور المتباهي بكل جميل في وطنه من محيطه إلى خليجه، وأخيراً جاءت المحصلة على هيئة هذا الكتاب (عربيات) الذي بين أيديكم كي يصل إليه الجميع.

ثالثاً: تم فهرست وترتيب مقالات (عربيات) حسب أهمية مدلولاتها بالنسبة لي شخصياً ككاتب لها دون انتقاص أو تهميش من ورد منها لاحقاً، حيث ستجدها عزيزي القارئ منثورة حرفياً كما نُشرت في وسائل الإعلام المكتوبة، مع إضافة جديدة أسفل كل منها كإشارة إلى مكان وتاريخ النشر بالإضافة لمحاولات تراجمية بسيطة (هوامش) كُتبت في وقت لاحق قريباً لتاريخ نشرها. والله من وراء القصد وهو ولي التوفيق..

المؤلف د. محمد محمود أسعد

الإبداع في ظل الحيرة [1]

فيما كنتُ بالأمس القريب أتصفح بعضاً من الدراسات المختصة بالمؤثرات على عملية الإبداع، لاحت لي وعلى الفور حالة الكثيرين من موظفي القطاعين العام والخاص، خاصة أولئك الذين شاءت ظروفهم أن يعملوا بين جنبات المؤسسات الاجتماعية.

وأذكر فيما أذكر، أن المفكر دونالد تيلور قد أكد مراراً في دراسته عن العوامل المؤثرة في الإبداع لدى كوكبة من المبدعين، على وجوب وجود العلاقة الحميمة بين المبدع والمشرف على العمل، لما لها من تأثير بالغ الأهمية في زيادة نسبة الإبداع، كما أشار إلى أهمية الدور الذي يلعبه المجتمع العام في تشجيع أو إحباط المبدع عندما يكون هذا الأخير أسيراً لمشكلات مجتمعه ورهيناً لاهتماماته.

وفي دراساته المتعددة ركز (موريس شتين) على مدى تأثير المجتمع بشكل عام في تعويق أو تيسير الإبداع.

وقد أثبتت الدراسات والوقائع على أن الإبداع والارتقاء لن يرتكز على تعددية رؤساء العمل، بل يمكن في خلق السبل ورسم المسارات الصحيحة أمام الموظف المطالب بتطوير عمله وتوسيع آفاقه بعيداً عن التقييد والحجز، فالإبداع كما هو معروف هو خلق الشيء على غير مثاله، أو بالأحرى إيجاد الشيء من عدم، لكن كيف لموظف مُربَك بقيود أمزجة وأهواء الآخرين، أن يحبو قيد أنملة في درب الإبداع، كونه قد فَقَدَ أصلاً احترام الرأي والوجود بل والدور

---

١ الإبداع في ظل الحيرة :مقال منشور في جريدة البيان - عمود (وجهة نظر) يوم الأربعاء تاريخ ١٩٩٩/٥/٥م.

أيضاً؟ فهل بمقدور ذاك الموظف الإبحار في يم الإبداع اللامحدود بمركبٍ خاوٍ من المجاديف والصواري في مهب عتو الآراء واختلاف الطباع..؟!

في هذه الحالة ليس أمام ذاك الموظف إلا أمرين لا ثالث لهما، أولهما أظنه صعب المنال يكمن في تحلي شخصية ذاك الموظف بعشرات الطباع، إن لم يكن أكثر، علها تتناسب مع أمزجة جميع إداريّ ومرتادي تلك المؤسسة (الاجتماعية)، أما ثانيهما ففي أسلوبه يسر وفي نتيجته عسر، أنه يقبع وراء "تطنيش" متطلبات وأهواء العديد من الموجودين، لكن المحصلة رغم كل ما يُقدمه ذاك الموظف من أعمال قد يشهد العموم بنجاحها، ستتجلى في تعرضه بين الفينة والأخرى لضربات "كلامية مبرحة من حيث هامشية الدور وعدم الجدوى".

فإن استسهلت أخي الموظف هذا الجانب (جانب التطنيش) معتمداً على رئيسك المباشر بالعمل، متخذاً من مقولة "إرضاء الناس غاية لا تُدرك" حقيقة نصب عينيك، فاعلم أنك ستجد نفسك يوماً ما خارج نطاق العمل، كونك قد فتحت عليك جبهة مديدة أمام هجمات نقد وافتراءات الآخرين، فلا يمكنك مهما تجندت بالصبر والأمانة بالعمل من الصمود ولو هنيهة أمام جحافل المترصدين للنيل منك، باعتبارك عجزت عن "ممالقتهم، ومسايرة أهوائهم يوماً ما خاصة وأن معظم تلك المؤسسات تخضع لنظام الإدارات المتعاقبة.

فإن أردت الاستمرار في فيافي تلك المؤسسات ــ ما خطبك أخي

الموظف في وجع الرأس والقلق المزمن في استسهالك لهذا الأسلوب الأرعن اللا محمود عقباه ـ عليك فقط الاستكانة والخضوع لجميع المتطلبات اللامحدودة التي أولها اعمل وأوسطها لا تعمل كذا وأخرها لما تباطأت بالعمل ؟!.. بهذه الحيرة اللامتناهية ستقضي معظم أوقات عملك اليومي الممتد، الذي عرفت منه البداية وغابت عنك بالتأكيد النهاية.

بالطبع لا أتجنى بقولي هذا على مؤسسة دون أخرى، بل هذه حقيقة معظم المؤسسات الاجتماعية في بلادنا العربية، كون وفرة الأوامر والمتطلبات ترتبط بشكل طبيعي بتعددية الرواد وأهوائهم، فأين نحن من مبادئ العلاقات العامة التي راحت تزخر بها أنظمة العمل من تشجيع وتحفيز المبَرزين، خاصة إن بانت بعض من ملامح التميز والارتقاء بالعمل بين أنامل وجنبات فكر ذاك الموظف الحائر بين إرضاء هذا وممالقة ذاك من ناحية، وإتمام متطلبات عمله من ناحية أخرى، وهل ستكون مسيرة عمل يومه هذا أكثر من مجرد سجل آخر يضاف إلى أقرانه في غياهب الروتين الممل؟

***

الثقافة نهمس!! [٢]

ليس من قبيل المصادفة أن أقترن بأختي المحبوبة جماهيريا الرياضة ـ في مسميات الأندية الرياضية العاملة في ربوع دولة الإمارات العربية المتحدة، بل جاء ذلك نتيجة جهد مسبق أسهبت في دراسته وإقراره قيادة حكيمة وَضَعت خدمة الإنسان والارتقاء به في أولى خططها التطويرية مع الحفاظ على الجميل والرائع من التراث والتاريخ الخالد استنارة بالفكر المنير لقائد فذ" لاحظنا حركة الشباب في العالم العربي تتجه للقضايا دون أن يكون هناك اعتماد أولوية الفكر والثقافة، نتمنى لو اقترن اسم الشباب بالثقافة"[٣] من هذا المنطلق وتحقيقاً لهذه الأمنية سعت الدولة ومنذ أيامها الأولى إلى تسخير المادة واستثمارها في سبيل تحقيق تطلعاتها المستقبلية فيما يخص رفعة المجتمع وتقدمه من خلال تعليم وتثقيف لبنته الأولى.. الإنسان . فشُرعت الأبواب الثقافية والتعليمية في جميع المقار الاجتماعية والتربوية باعتباري الأساس للعلوم التجريبية والفنون والآداب والعلوم الإنسانية والعادات والتراث، فميدانها واسع ورحب "إن أفضل استثمار للمال هو استثماره

٢ الثقافة تهمس...!!: مقال منشور في جريدة البيان يوم الجمعة تاريخ ١٢ نوفمبر ١٩٩٩ وتم نشره أيضاً في جريدة الخليج يوم الأحد تاريخ ١٩٩٩/١٢/١٢م. تحت عنوان "ثقافيات الأندية"

٣ من أقوال صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة طيب الله ثراه خلال احتضان دولة الإمارات للدورة الرابعة لوزراء الشباب العرب في ١٥ مارس ١٩٨١م.

في بناء الأجيال من المتعلمين والمثقفين من أبناء البلاد."[٤]

فمن أجلي أقيمت المكتبات العامة في أروقة الأندية الرياضية وازدانت رفوفها بالعديد من العناوين والمواضيع الدينية والاجتماعية والدراسية التي تهم وتشبع رغبات المهتمين وحب استطلاعهم.

لكن ما لفت انتباهي ودعاني بأمانة لرسم إشارة خطر بلونيّ الاستغراب والحيرة.. تجاهل بعض الناس لوهجي المشع في معظم تلك الأندية، والذي يُعد بشهادة المهتمين، وبعض الرواد قبساً من نور استمد بريقه من اهتمام دؤوب للمسئولين ومن ثم القائمين على تفعيل جانبي (اللجان الثقافية) رغم الاستهتار والتهميش اللذين يلاقونهما مرسوماً على وجوه البعض.. سامحهم الله.

وسؤالي الذي طالما حيرني وأرق استقراري وهناءة عيشتي: لماذا يتجاهل البعض جهود هؤلاء الجنود المعروفين منهم والمجهولين الذين بذلوا الغالي والنفيس في سبيل تقديم ما بمقدورهم وحسب ما تُتاح لهم من إمكانيات معنوية ومادية مقتطعة أصلاً من ميزانيات رياضية بحتة تُحسب عليهم بالدراهم القليلة؟

إلى متى يبقى البعض مشككاً في جدوى وجود أفراد وهبوا أنفسهم وأوقاتهم بلا مقابل لرفعة هذه المؤسسات الاجتماعية . الأندية الرياضية . عبر عدة قنوات كانوا قد يسروا سلكها من أجل شغل أوقات فراغ معظم أفراد المجتمع بما يعود على الجميع بالنفع والفائدة.

---

٤ من أقوال صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة طيب الله ثراه في العلم والثقافة.

لقد أعطوني حيزاً كبيراً من الأهمية لم آلفه عند الآخرين، فأقاموا باسمي ندوات ومحاضرات هادفة تهم الجميع وعقدوا لها أمسيات شعرية، ومن أجل تعزيز مكانتي شرعوا في إصدار نشرات ومجلات دورية حافلة بشتى أنواع المعرفة والمواضيع الهامة، وأسهبوا في طرح مسابقاتي الدورية والوقتية في محاولة منهم لرفع كفاءة رواد تلك المؤسسات والمتابعين.

وهل تناسيتم أن بالتشجيع نرتقي بعملنا، ونصل به إلى مصاف النخبة، وبالإهمال نبقى قابعين في دياجير الظلام والنسيان.

بالطبع لا أقصد بهذا حسداً والعياذ بالله على أختي الرياضة لتعددية جمهورها وعشاقها، بل أتطلع إلى استئذان حضراتكم في إعارتي بعضاً من الاهتمام والسمع والأخذ بأيدي القائمين على جانبي إلى جادة التشجيع وتثمين ما يقومون به من أنشطة، وما يقدمونه من اقتراحات تسعى بالتأكيد إلى الارتقاء بمهام تلك المؤسسات العاملة في الميادين الاجتماعية والتربوية، بدلاً من نظرات التشكيك والإيعاز بعدم جدوى الوجود، فكما هو معلوم أن للبيئة المحيطة دوراً هاماً في تشجيع أو إحباط المتطوعين والمبدعين، وحسبي في هذا المقام مثل شعبي يقول : (اللي ما يغار ....) أعزنا الله وإياكم!!....

***

المكياج اللغوي.. تفرد أم تضليل؟ [٥]

أستميح عذراً الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)[٦]

صاحبة الدراسات اللغوية المتعددة وأستاذة الدراسات القرآنية بكلية الشريعة ودار الحديث بجامعة القرويين سابقاً.. إن استعرتُ بعضاً من كلماتها الواردة في التمهيد لكتابها الممتع (لغتنا والحياة) حيث قالت: "يظل موضوع اللغة جديداً ما بقيت هذه العربية أداة نطقنا وتفكيرنا، ولسان قوميتنا، ووسيلة الثقافة والتعبير عن إنسانيتنا، واللغة التي تصلنا بتراث أسلافنا وتاريخ أمتنا وبها نتفاهم ونلتقي عبر حدود الزمان والمكان.." وأشارك المهتمين بواقع الثقافة المتردي يوماً بعد آخر بسؤال.. لماذا تشهد الثقافة صداً عنها..؟ هل الخلل في الطرف الأول (المُلقِن) من حيث طريقة طرحه ونوعية المادة المطروحة، أم في الطرف الآخر (المُتَلقي) من حيث الظروف والمناهل المتاحة له..؟

---

٥ المكياج اللغوي.. تفرد أم تضليل؟: مقال منشور في جريدة الخليج - الخليج الثقافي - عمود (أفق) يوم الأحد تاريخ ٢٠ فبراير ٢٠٠٠م.

٦ د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) (١٩١٣ - ١٩٩٨) أستاذة جامعية وباحثة ومفكرة وكاتبة، ولدت في مدينة دمياط مصر لعالم أزهري، وحفيدة لأجداد من علماء الأزهر ورواده، حصلت على الدكتوراه بتقدير ممتاز في النصوص، كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٥٠. عملت بالتدريس الجامعي زهاء نصف قرن تنقلت فيها بين عدة جامعات عربية. لها العديد من المؤلفات والدراسات الأدبية واللغوية منها: قضية الفلاح، سيدة العزبة، الحياة الإنسانية عند أبي العلاء، رجعة فرعون، صور من حياتهن، سر الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم، الشاعرة العربية المعاصرة، أبو العلاء المعري، على الجسر، قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر ، مقال في الإنسان، لغتنا والحياة، مع المصطفى، مقدمة في المنهج، القرآن والتفسير العصري، مع أبي العلاء في رحلة حياته، القرآن وقضايا الإنسان، الإسرائيليات في الغزو الفكري، أرض المعجزات، تراجم سيدات بيت النبوة. كما أن لها العديد من الأبحاث المنشورة في حوليات جامعة القاهرة وعين شمس وبيروت وكذلك مجلة المجمع اللغوي. حازت على عدة جوائز وأوسمة تقديراً لأعمالها منها: جائزة المجمع اللغوي لتحقيق النصوص، جائزة المجمع اللغوي بمصر للقصة القصيرة، الجائزة الأولى للحكومة المصرية في الدراسات الاجتماعية والريف المصري، وسام الكفاءة الفكرية من حضرة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني عاهل المغرب، جائزة الدولة التقديرية في الآداب من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.

في حقيقة الأمر إن عرجنا في هذه العجالة على الخلل الناتج من قبل الطرف الأول (المُلقِن).. لأمكننا القول إن الثقافة ـ كما معلوم للجميع ـ ليست في انتقاء الموضوعات المعقدة ولا الكلمات المنمقة. بل تقديم ذلك بأسلوب سلس وسهل. لأن دور اللغة (أي لغة) مفهوم للجميع على أنه "وسيلة" لإكساب واكتساب معلومة تتراكم مع مثيلاتها بمرور الزمن لتشكل بنية ثقافية يذخر بها عقل صاحبها، وإن اختلفت مصادر الثقافة (الكتاب، الصحف، الدوريات، الإذاعة والتلفزيون.. الخ) عن بعضها باستخدام هذه الوسيلة بشيء.. فيترتب على وسائل الإعلام بفئاتها (الصحف والمجلات ـ إذاعة وتلفزيون) ألا تتخلى أبداً عن هذا الدور. اللغة وسيط. كونها تعتبر في وقتنا الحاضر على أقل تقدير أسرع الطرق وأيسرها وصولاً لنيل المعرفة (المبدئية).. باعتبارها في متناول الجميع. وليست هي كما يراها البعض غاية يصبو إليها بعض كتاب وإعلاميي اليوم في ترقيهم إلى برج التفرد بالأسلوب وفن التنميق اللغوي.. ولا أبالغ إن قلت: مرات عدة حاولت فيها كقارئ تناول وفهم ما جاء بين سطور بعض المقالات المنشورة بالصحف اليومية.. وبخاصة تلك التي انتهجت منهج الثقافة المعرفية بأنواعها بعيداً عن لغة الأرقام.. لكنني خرجت من دون فائدة تذكر، والسبب حسب ما أظن التعتيم الذي راح يرسمه كاتب المقال ذاته من خلال استخدام ألفاظ مبهمة وعبارات غامضة في محاولة منه لإغراق القارئ في دوامة التجميل اللغوي أو حرصاً منه على تمييز أسلوبه عن باقي أقرانه.. وكأن تلك

المقالات نسيت دورها الأول في تيسير وصول الفكرة إلى ذهنية القارئ العادي والعمل على ترسيخها بدلاً من تضليلها وتشويشها وإدخال الشكوك في قدرات القراء والنظار الذهنية.. فهل يقصد كُتَابُنا من وراء هذا.. ابتكار طراز آخر من التثقيف أم أنهم أرادوا تخصيص الثقافة أيضاً..؟ وهل تناسوا أن طريقة طرح الفكرة واستخدام العبارات السهلة هي الركن الأساسي في عملية التعلم والتعليم كونها حلقة الوصل والمباشر بالفهم بين المعلم والمتعلم؟.

بالطبع لا أنكر على لغتنا العربية جزالتها وبلاغة أسلوبها الفذ الذي امتازت به عن غيرها من اللغات على مدار قرون ماضية ولكنها أيضاً اللغة السلسة المفهومة على مدار الزمان.. ولعل هذا ما نلمسه واقعاً في قراءتنا لأشعار الجاهلية الأولى.

كثيرون من المهتمين طرقوا أبواب هذه المشكلة من قبل منهم مؤخراً.. الدكتورة فاطمة الصايغ[٧] رئيسة قسم التاريخ والآثار بجامعة الإمارات التي أعربت في مقالها (ثقافة المكياج أم مكياج الثقافة) المنشور مؤخراً في

٧ د. فاطمة الصايغ: أكاديمية إماراتية حصلت على شهادة الدكتوراه من جامعة ايسبكس ببريطانيا ١٩٨٩م، لها العديد من المقالات والكتب والدراسات البحثية عن مجتمع وتاريخ دولة الإمارات بشكل خاص ومجتمع وتاريخ منطقة الخليج بشكل عام من أبرزها: الإمارات العربية والخط الجوي البريطاني إلى الشرق، الإمارات العربية من القبيلة إلى الدولة، رسائل السركال، تاريخ الخليج العربي: التكوين السياسي والتطور الاقتصادي والاجتماعي، الإمارات العربية المتحدة: التحديات التاريخية والتكوين الحضاري، الإمارات العربية المتحدة: التكوين السياسي والتطور الاقتصادي، دبي: البدايات والتحولات. شاركت في العديد من المؤتمرات الدولية والعربية، وعضوة في عدة هيئات ومؤسسات منها: مجلس دبي الثقافي، جمعية التاريخ والآثار لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، جمعية دراسات الشرق الأوسط في الولايات المتحدة الأمريكية، اتحاد المؤرخين العرب، وجمعية الاجتماعيين، كما أنها الأمين العام لموسوعة الإمارات العربية المتحدة، ورواق عوشة بنت حسين الثقافي.

جريدة الاتحاد عن بالغ مخاوفها لتفاقم هذا الخلل التثقيفي المتراكم حيث قالت ".. الثقافة ليست اختيار الموضوعات المعقدة والألفاظ الرنانة بل تقديم ذلك بأسلوب بسيط يصل إلى القارئ العادي وبالتالي نستطيع تثقيف الجمهور ونجعل من الثقافة شيئاً في متناول الجميع.. إن ثقافتنا الوطنية لا تحتاج إلى مكياج نخفيها ونغلفها بغلاف جميل مستورد من الخارج. فهذه الثقافة الأصيلة كجمالها وأدبياتها وروحها تحتاج فقط إلى نفض الغبار عنها وتدعيمها وتقديمها بأفضل صورة وهكذا نرد الجميل لهذا الوطن من خلال احتضاننا لعروقه وجذوره.."

نرجع ونقول أن الصحافة أولاً وأخيراً تخاطب العامة.. فلِمَ هذه الأنفة من بعض الكتّاب في استسهال الألفاظ؟ هل أصبح التضليل اللغوي أسلوباً يتطلعون إليه أم أنه أحد براثن العولمة المفروضة علينا؟ أفيدونا أفادكم الله..

***

الكِتاب.. بين فكيّ الاحتضار [٨]

لعل من أهم الدوافع النفسية لدى الناشئين والمهتمين حُب الاستطلاع والمعرفة كونه يجرُ على صاحبه فوائداً جمّة وآراءً معرفية تسعى بالتأكيد إلى تنمية قواه الذهنية والعملية في تذوق جماليات الحياة وروعتها وتسانده في سبر أعماق المجهول كي تتضح له الصورة وتشرئب أمامه الحقيقة.

فكثيرة هي المرات التي يحتار المرءُ في تفسير ملامح بعض المعضلات والأسئلة المطروحة عليه ذهنياً أو اجتماعياً (استفسار الأطفال، الزملاء..) فلا يجد لها حلاً سوى البحث والرجوع إلى أمهات المعرفة.. الكتب، فتراه يُقلب شغفاً بين دفتيها وريقات علها تُشبع نَهمه معرفةَ وتُطفأ ظمأه استطلاعاً.

فالكِتاب بلا شك.. وسيلة علمية تناقلتها الأجيالُ وتتلمذت على أياديها جهابذة الفكر والعلم فكانت بحق مرتعاً لنهمهم الممتد وأداة لتفريغ فيض علمهم المتدفق كي ينهل منه الآخرون ويستفيد منه المهتمون فمن خلال الكُتاب قُرئ التاريخ وعُرفت العلوم بأنواعها وصُقلت قرائح الأدب والفنون حتى سمت وسما بها أصحابها.

لهذا وذاك عمدت الحكومات إلى إقامة المكتبات العامة والمراكز الثقافية الذاخرة بشتى العناوين الدينية، التاريخية، الجغرافية، والعلمية والأدبية.. الخ، كي تُمكن مواطنيها من إشباع رغباتهم في الاطلاع والبحث ليرتقوا بحياتهم العملية والعلمية، كما

---

٨ الكِتاب.. بين فكيّ الاحتضار: مقال منشور في جريدة البيان يوم الجمعة تاريخ ١٧ ديسمبر ١٩٩٩ وسبق نشره في جريدة الخليج -الخليج الثقافي -عمود (أفق) يوم الثلاثاء تاريخ ١٩٩٩/١١/٣٠م.

أقامت معارضاً دورية للكتب علها تُشبع رغبات البعض في البحث والمطالعة وتزيد من اهتمام الآخرين.

لكن ثمة أمور في عصرنا الحالي حالت بين الكِتاب كونه أهم مصادر المعرفة وبين قرائه، ولعل من أهم هذه الأمور شبح العولمة الذي راح يُهدد بإزالة كل جميل في حياتنا العربية حتى غدت كدماته مؤثرة على روابطنا الفكرية والثقافية . و يا ويلتنا لو امتدت براثنه إلى معتقداتنا الدينية، وكان الكتاب.. خير جليس أول صريع أمام ذاك الشبح حيث فقد دوره الفعال وانحدرت درجات سموه وقلَ متابعوه واعتلته غبارُ السنين وشاركته المقار ظلمات النسيان.

لقد استغربَ صديقي من تحاملي هذا على أيدلوجية العولمة كونه قد تورط في مساءلتي عن وضعية الكِتاب في ظلها باعتباري أميناً لمكتبة عامة، وبرهنت على أن الكِتاب بشكل عام تراجع وتردت أيامه وانعدم بريقه.. عندما أخرجت للتو كتاباً لا على التعيين من خزائن المكتبة ورحت أنفض عن دفتيه غبار السنين والإهمال مخبراً إياه أن حالة معظم أقرانه كحالته.. إهمال، لا متابعة، هجر.. الخ.

نعم إن العولمة قضت وستقضي .. يا صديقي على كل جميل في حياتنا إن استمرينا في استهلاك معروضاتها بدون تفكير، علمتنا التكاسل والخمول، فاعتدنا على توسيع دائرة معلوماتنا (ثقافتنا) من خلال قراءة الصحف والمجلات ومتابعة القنوات التلفزيونية، على الرغم من يقيننا التام بأن الثمرة (المعلومة) التي نود قطفها غير ناضجة تماماً ومن الممكن أن يشبوها بعضاً من التشويه كون

أنه قد اُستخدم في تسريع نضجها الهرمونات الكيماوية.

لقد صدق من وصف طريقة الاطلاع والتثقيف هذه بـ (سندويتشات المعرفة) التي لا تغني بالطبع ولا تسمن من جوع. فكيف لجائع مزمن أن يشبع نهمه بارتياده لمطاعم الوجبات السريعة "تيك أوي".

ولست هنا ممن يجعل العولمة شماعة وسبباً أساسياً لهجر الكِتاب ولكنني أضيف بأن هنالك أموراً عدة زادت من لهيب القطيعة تلك أهمها: تقابل ارتفاع أسعار الكتب مع انحدار الدخولات الفردية، فلم تراع دور النشر هذا الأمر بل راحت تطعم منشوراتها بأحدث التصاميم وأبهى الألوان وأجود أنواع الورق في محاولة منها لرفع الأسعار من خلال إغراء القارئ لكنها أخطأت التقدير فغدت أسعار منشوراتها لا تتلاقى أبداً مع دخله لذلك اتسع شرخ القطيعة واستعاض القارئ عن الكتاب بوسائل الإعلام كالصحف والمجلات والتلفزيون.

تساؤلات.. كثيرة يتداولها الغيورون على مستقبل مصادر ثقافتنا العربية... تنتظر حلولاً شافية:

- إلى متى نبقى قابعين تحت كابوس القطيعة هذا؟

- إلى متى نرضى لكتّابنا الأكارم هجر أقلامهم المدرارة وانزوائهم بعيداً عن الأضواء..؟

- هل رضينا .أخواني العرب .أن نتحول (كما أرادت لنا الأيدولوجيات الأخرى) إلى شعوب مستهلكة تحبو في ظل الاستهلاك بعيداً عن رحابات الثقافة والفكر والقيم..؟

- هل نترك مصادرنا الثقافية والعلمية تترنح تحت سيل هادر من الأيدولوجيات وأهواء الجشع

وحب المال؟ أم نعقد العزم على خلق السبل الكفيلة لنجدتها والسمو بها إلى مكانٍ مرموق بعيداً عن التقوقع والاحتكار والهروب من مواجهة الواقع وإرهاصاته..؟

***

طريق آخر للإبداع (٩)

بينما كنت في الأمس القريب أقرأ متشوقاً ما كتبه يوسف أبو لوز [١٠] في مقاله "مرونة مثلى في المجتمع الثقافي" الذي تم نشره مؤخراً في هذه الزاوية (أفق) في اليوم الأربعاء الماضي ٢٢ ديسمبر ١٩٩٩ استهوتني بعض العبارات التي أكدت على أن الروتين يتعارض تماماً مع روح عمل المؤسسات الثقافية وأن "المؤسسة الثقافية التي تحد من فاعلية إبداع الكاتب وتحاصر رغبته في الإضافة المبدعة.. إنما هي لمؤسسة تقليدية لا ينفع معها إلا الموظف التقليدي".

واستحضرني على الفور مقال لي كان قد نُشر في جريدة (البيان) بعددها الصادر في يوم ٥ مايو ١٩٩٩ تحت عنوان (الإبداع في ظل الحيرة!!) بيّنتُ فيه أن مجمل الدراسات والوقائع أثبتت أن عملية الإبداع والارتقاء بالعمل لا ترتكز على تعدديه رؤساء العمل، بل تكمن في تفهمهم لدورهم الريادي وسعيهم الدائم لخلق سبل ورسم مسارات صحيحة أمام الموظف المطالب بتطوير عمله وتوسيع آفاقه بعيداً من تقييد وحجز وظيفي هو أقرب ما يكون إلى تقابل وعكس جلي لعملية تفرغ وتفريغ المبدع. ولعلني في هذا التقابل أشاطر أبو لوز الرأي ونلتقي سوية على درب يأخذ بأيدي المهتمين إلى رحابات الإبداع الوسيعة.

---

٩ طريق آخر للإبداع: مقال منشور في جريدة الخليج - الخليج الثقافي - عمود (أفق) يوم الأحد تاريخ ٢/١/٢٠٠٠م.

١٠ يوسف أبو اللوز: (١٩٥٦ -....) كاتب فلسطيني مقيم في الإمارات، محرر القسم الثقافي في جريدة الخليج، له عدة مؤلفات منها: شجرة الكلام، ووجوه ثقافية وأدبية من الإمارات. عضو رابطة الكتاب الأردنيين، والأمانة العامة للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب. ينشر نتاجه الشعري والأدبي في الصحف والمجلات العربية وشارك في العديد من المهرجانات الثقافية.

ولعل خير ما يحضرني في هذا الصدد توصيات المفكر دونالد تيلور نتيجة لدراساته عن العوامل المؤثرة في الإبداع لدى كوكبة من المبدعين.. وتأكيداته على وجوب العلاقة الحميمة بين المبدع والمشرف على العمل، لما لها من تأثير بالغ الأهمية في زيادة نسبة الإبداع. ولا ننسى في هذا الجانب أهمية الدور الكبير الذي يلعبه المجتمع بشكل عام، ورئيس العمل بشكل خاص، في تشجيع أو إحباط الفرد والموظف المبدع لما انه هذا الأخير (المُبدع) سيكون أسيراً لمشكلات مجتمعه ورهيناً لاهتماماته. وفي دراساته المتعددة ركز موريس شتين أيضاً على مدى تأثير المجتمع بشكل عام في تعويق أو تيسير المبدع. وإنني إذ أشير إلى عامل آخر في تفعيل دور الموظف المبدع بعيداً بعض الشيء عن مفهوم التفرغ والتفريغ.. أهلل وأُحيي رؤساء العمل المتفهمين لدورهم الريادي بالمؤسسة الثقافية بشكل خاص.. على أنه تحفيز وإرشاد ووجوب تقوية علاقات بينهم وبين موظفيهم بدلاً من ديكتاتورية وحجز وتجاهل لا يؤدي بالحال إلا إلى ترهل ووهن وظيفي خلف المكاتب طوال الدوام اليومي. فالإبداع كما هو معروف هو خلق الشيء على غير مثاله، أو بالأحرى إيجاده من عدم، لكن كيف لموظف مربك ومقيد بسلاسل الروتين وأمزجة المشرفين على العمل أن يحبو قيد أنملة في طريق الإبداع كونه فقد أصلاً حرية إبداء الرأي والتجديد.. فهل بمقدور موظف حائر ومقيد، الإبحار في يم الإبداع اللامحدود بمركب خاو من المجاديف والصواري في مهب وعتو الآراء ووفرة الطباع؟ أين تتجلى ملامح الإبداع في ذلك.. أفيدونا أفادكم الله؟

معوقات العمل الثقافي [11]

مرة أخرى تتنصل الثقافة وتعرب عن وهنها (الممتد) أمام قريناتها.. صاحبات الريادة والاهتمام المجتمعي وبخاصة الرياضة.. فقد قيل: إنه من بوادر التحسين والتطوير بشيء الاعتراف بضعفه (إن وجد) وصدق من قال (الاعتراف بالذنب فضيلة).. ولعل هذا ما سُعي إليه فعلاً في مجلس رمضاني ـ عقدته ثقافية نادي الرمس مؤخراً في قريتها التراثية المستحدثة تحت عنوان (واقع الثقافة أمام التحديات) حضرته مع شخصيات عدة فاضلة لها الباع الطويل في مسيرة الإمارات الثقافية والرياضية منهم د. محمد عبد الرب النظاري[12]، الشاعر عبد الله حسن الهدية[13]، علي صالح الحرش، علي أحمد المناعي، الشاعر عبد الله محمد السبب[14]، ناجي السويدي.. خُصص عن أهم التحديات التي تعترض المسيرة الثقافية في

١١ معوقات العمل الثقافي: مقال منشور في جريدة الخليج - الخليج الثقافي - عمود (أفق) يوم السبت تاريخ ١٥ يناير ٢٠٠٠م.

١٢ فضيلة الشيخ الدكتور / محمد عبد الرب النظاري: عالم دين من اليمن (١٩٥٠ -...) كبير الوعاظ في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عضو الهيئة العليا للإفتاء بدبي بدولة الإمارات العربية المتحدة – تخرج في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٩٨٦م وفي جامعة أم القرى حصل على درجة الماجستير في فقه النكاح عام ١٩٨٨م وفي عام ١٩٩٥م حصل على الدكتوراة عن رسالته عن الشيخ المقبلي من جامعة أم درمان في السودان.

١٣ عبد الله حسن هدية: تربوي وشاعر إماراتي معاصر من رأس الخيمة، وهب قلمه للوطن حباً وانتماءً فتوشحت مفردات أشعاره بدرر إنجازات الاتحاد، وازدانت بعزم الحكام على بذل الغالي والنفيس في رفعة هذا الوطن والسعي السلمي الحثيث لقضية الجزر المغتصبة، له العديد من المنشورات.

١٤ عبد الله محمد السبب: شاعر إماراتي (١٩٦٥ -..) نشر في كثير من الدوريات والمجلات والصحف منذ عام ١٩٨٣، له أربعة دواوين شعرية مطبوعة أولها مشترك مع الشاعرين أحمد عيسى العسم وهاشم المعلم (مشهد في رئتي، عصر، الآن، المرايا تحدث أخبارها)، عضو في العديد من اللجان المهتمة بالثقافة والإبداع. من مؤسسي نشرة رؤى ١٩٨٩، ومن مؤسسي جماعة الشحاتين الخمسة ١٩٨٩، عضو اللجنة الثقافية بمسرح رأس الخيمة الوطني.

الأندية الرياضية العاملة في ربوع دولة الإمارات العربية المتحدة.

ولئن اعتبر هذا اللقاء.. اعتراف صريح بضعف كيان الثقافة ومدلولاتها العملية على صعيد الأندية الرياضية على أقل تقدير، فقد ساده ود واحترام رأي ووجهات نظر متعددة شخصت عن قرب أهم أسباب هذا الوهن وسبل علاجه الناجعة. واتضح للمرة الأولى أن هذا الوهن لا يتلاقى البتة مع التفوق الرياضي وإنما يرجع إلى أسباب عدة أهمها: تعاقب مجالس الإدارة وتغيير اللجان الثقافية فيها ـ غياب الرؤية والهدف وروح المنافسة عن العمل الثقافي ـ محلية عمل اللجان الثقافية وارتباط الأنشطة بالمشرفين واهتماماتهم، الظلم المجتمعي للثقافة والعاملين عليها وخاصة الإعلامي منه. فبينما يحظى نشاط رياضي بسيط بتغطية إعلامية واسعة (مقروءة ومسموعة ومرئية) تفتقر الثقافة لأي منها ولو في ندوات وأنشطة متفوقة إلى جانب غياب الجمهور عن المجالس الثقافية ـ غياب الإبائية المفكرة (القدوة الثقافية الحسنة) وعدم وجود المأمن الثقافي في الأندية ـ ديمومة الأعاصير في وجه الوجود الثقافى وسعي البعض لتهميش دوره وتقليل شأنه ـ شح الموارد المخصصة لتدعيم العمل الثقافي ـ تجاهل اللغة العربية على أنها مفتاح لحل قضية الوهن الثقافي الممتد الذي نقبع فيه كونها محوراً للثقافة العربية ومصدر قوتها.. الخ

ولعل المتتبع لشأن الثقافة في أنديتنا الرياضية يتلمس ومنذ الوهلة الأولى غياب الدور الثقافي في معظمها وهيمنة رياضية بحتة ليس في رحابات تلك الصروح وحسب، وإنما في حياتنا اليومية

أيضاً.. فكيف لنا أن نخلق من هذا الوهن هيمنة وشأناً ثقافياً رغم الإمكانات البشرية والمادية الموجودة؟ وكيف لهذه الخميرة المجتمعية (اللجان الثقافية) أن تكون قادرة على إضاءة قنديل بدلاً من أن تلعن الظلام..؟

ورداً لهذه التساؤلات المطروحة بيّن المشاركون على أن مجرد الإيمان بفكرة لا يكفي للارتقاء بها بل يتطلب ذلك أيضاً عملاً دؤوباً وتصحيح مسار واستيضاح هدف وبذل المزيد في سبيل تطوير العمل الثقافي. ومن هنا يجب علينا أن لا ننتظر مساعدات وتبريكات الآخرين، بل علينا أن نعد أنفسنا أولاً كي نستعد للعمل الراقي والطموح.

وقد خلص المشاركون إلى أنه لا تعارض بين الثقافة وقرينتها المجتمعية.. الرياضة، فكلاهما تلقيا الاهتمام ولو كان ذلك بنسب متفاوتة. وخرجوا في ختام اللقاء باستنتاجات وتوصيات عدة من شأنها تفعيل الجانب الثقافي في جنبات الأندية الرياضية بشكل خاص وكافة المؤسسات الاجتماعية ذات النفع العام بشكل عام.. أهمها: وضع دستور دائم للمسيرة الثقافية ـ إيضاح الرؤية والهدف أمام المثقفين ـ توبة المثقف ـ انتقاء الدور المؤثر ـ التدرج والتجربة في حل مسألة الوهن الثقافي ـ تأمين المأمن الثقافي والأسري للفرد. النزول الميداني إلى أرض الواقع ـ الرجوع إلى المثل الأعلى.. الشريعة السمحاء والدين الحنيف.

***